

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الْبِرُّ مَا أَطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ

مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ.

تَتَزَايِدُ الْحَسَنَاتُ عِنْدَ مُشَارَكَتِهَا

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

قَدْ كَانَتْ مَرَّتْ تِسْعُ سَنَوَاتٍ عَلَى هِجْرَةِ نَبِيِّنَا

الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

وَكَانَ يَنْتَشِرُ الْإِسْلَامُ شَيْئًا فَشَيْئًا وَكَانَ النَّاسُ ظَمَانًا

إِلَى الْإِيمَانِ وَكَانُوا يَتَدَفَّقُونَ مِنْ بُلْدَانٍ مُخْتَلِفَةٍ نَحْوَ

الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لِكَيْ يَدْخُلُوا إِلَى الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا.

وَكَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ يُدْعَى وَابِصَهُ بِنِ مَعْبَدٍ بَيْنَ

هَؤُلَاءِ النَّاسِ. وَبَعْدَمَا نَطَقَ وَابِصَهُ كَلِمَةَ الشَّهَادَةِ

وَتَشَرَّفَ بِالْإِسْلَامِ، سَأَلَ نَبِيَّنَا الْحَبِيبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. فَجَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنَامِلَهُ الثَّلَاثَةَ فَجَعَلَ يَلْمَسُ بِهِنَّ عَلَى صَدْرِ

وَابِصَةَ وَقَالَ لَهُ: {الْبِرُّ مَا أَطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ

إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ

وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ} ¹

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ دَلِيلُنَا لِحَيَاتِنَا وَكَمَا قَالَ الْقُرْآنُ فَإِنَّ

الْبِرَّ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ

وَالنَّبِيِّينَ. وَهُوَ تَعَزِيزُ الْإِيمَانِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ. فَإِنَّ

الْبِرَّ هُوَ انْفَاقُ الْمَالِ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ. وَبِالْخُلَاصَةِ، هُوَ

الْإِنْفَاقُ إِلَى كُلِّ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ. وَكَمَا إِنَّ الْبِرَّ هُوَ

إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالصَّبْرُ فِي

الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ وَالشُّكْرُ فِي السَّرَّاءِ

وَالضَّرَّاءِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عِنْدَ الْمَرَضِ وَالْعَافِيَةِ.²

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ!

إِنَّ الْبِرَّ هُوَ أَهْمُ مَكْسَبِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَأَعْلَى تَرَكَّةِ

الْمِيَّتِ. وَمِنْ خِلَالِ الْإِضْغَاءِ إِلَى صَوْتِ الْقَلْبِ الْعَطُوفِ

فَإِنَّ الْبِرَّ هُوَ الْإِحَاءُ مَعَ الْيَتِيمِ وَالْفَرَحُ مَعَ الْمَسْكِينِ

وَالنَّصْرُ إِلَى الْمُلْتَجِيِّ وَالْمُهَاجِرِ. وَمَدُّ يَدِ الْمُسَاعِدَةِ

إِلَى الْمَظْلُومِ وَقَفْحُ بَابِ الْبَيْتِ إِلَى عَابِرِ السَّبِيلِ وَقَفْحُ

بَابِ الْقَلْبِ إِلَى الْمَسْكِينِ وَهُوَ الْمُحَافِظَةُ عَلَى الْبَيْتَةِ

وَعَدَمُ الْإِيذَاءِ عَلَى أَيِّ نَفْسٍ حَتَّى التَّمَلُّةِ. فَإِنَّ الْبِرَّ هُوَ

الْحُبُّ وَالرَّحْمَةُ عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ لَوَجْهِ اللَّهِ. إِنَّ الْبِرَّ هُوَ

الْمُشَارَكَةُ فِي الْخُبْرِ وَالِدُّعَاءِ وَفِي السُّرُورِ وَالْعُجُومِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

الْمُؤْمِنُ يُجَادِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ

الْعُلْيَا. وَيَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ. وَيَتَسَابَقُ فِي

الْخَيْرَاتِ مُخْلِصًا فِي سُلُوكِهِ دُونَ الرِّيَاءِ وَالْفَخْرِ

وَالكِبْرِيَاءِ وَلَا يَتَوَقَّعُ أَيَّ تَقْدِيرٍ وَتَبْجِيلٍ مِنْ قِبَلِ النَّاسِ.

وَيَنْتَهِزُ كُلَّ الْفُرْصِ لِلْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ. وَمِنْ خِلَالِ

إِحْسَانِهِ بِالرَّحْمَةِ يَسْعَى إِلَى إِيجَادِ سُبُلِ السَّلَامِ

وَالْخَيْرَاتِ. وَيُنْفِقُ أَمْوَالَهُ الَّتِي وَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى أَمَانَةً لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ.

يُذْرِكُ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُ لَا يَنَالُ الْبِرَّ الْحَقِيقِيَّ مَا لَمْ يُنْفِقْ عَلَى حُبِّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. يُحَارِبُ الشَّرَّ مِنْ خِلَالِ دَعْوَتِهِ إِلَى الْخَيْرِ وَكَثْرَةِ الْحَسَنَاتِ. وَيَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ دُسْتُورًا لِحَيَاتِهِ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾³

يَا لَهَا مِنْ مَشْهَدٍ مُؤَلِّمٍ وَالْيَوْمُ يَتَجَوَّلُ الشَّرُّ بَيْنَ الْقَارَاتِ وَيَنْتَشِرُ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ. وَالظَّالِمُونَ يُسَبِّبُونَ إِلَى مُعَانَاةٍ كَبِيرَةٍ لِلْبَشَرِيَّةِ. وَيَتَعَرَّضُ الْمُسْلِمُونَ الْمَظْلُومُونَ لِلْقَمْعِ وَالْعُنْفِ وَالظُّلْمِ فِي الرِّوَايَا الْمُظْلِمَةِ لِجُغْرَافِيَّةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ. لَا سِيَّمَا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ الَّذِينَ يُثْنُونَ فِي يَأْسٍ تَحْتَ أَقْدَامِ الظَّالِمِينَ وَالطَّاعُونَ وَأُمَّةِ النِّسَاءِ السَّجِينَاتِ وَالْأَطْفَالِ السُّجَنَاءِ أَوْ الْمُجْبَرُونَ عَلَى الْفِرَاقِ مِنْ بُلْدَانِهِمْ وَالْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ إِنَّ هَذَا الْمَنْظَرَ يُؤَلِّمُنَا كَثِيرًا وَيُقَطِّعُ قُلُوبَنَا إِرْبًا إِرْبًا. بَيِّنَا أَنَّ النِّسَاءَ هُنَّ أُمَّهَاتُنَا اللَّوَاتِي يُعَلِّمُنَ الْخَيْرَ دُونَ مُقَابِلِ وَيُرْشِدُنَ إِلَى طُرُقِ الْبِرِّ وَالسَّعَادَةِ وَيَخَفِّضُنَ لَنَا جَنَاحَ الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَرَبَّيْنَا صَغِيرًا. فَإِنَّ النِّسَاءَ هُنَّ أَرْوَاجُنَا اللَّاتِي يَسْعُونَ لَيْلًا وَنَهَارًا عَلَى سَبِيلِ كَثْرَةِ الْبِرِّ وَزِيَادَةِ السَّعَادَةِ وَعَرَسِ السَّلَامِ وَالتَّسَامُحِ فِي بُيُوتِنَا. وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ، فَإِنَّ النِّسَاءَ هُنَّ بَنَاتُنَا اللَّوَاتِي

أَصْبَحْنَ قُرَّةَ أَعْيُنِنَا فِي دَارَيْنِ. وَلِهَذَا إِنَّ إِيدَاءَ الْمَرْأَةِ وَحِرْمَانَهَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْعَدَالَةِ وَالْقَائِمَاتِ إِلَى مَوْضِعِ الْمَظْلُومَةِ وَالْمُسْتَضْعَفَةِ هُوَ جَرِيمَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ حَيْثُ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَالْحُقُوقِ الْإِنْسَانِيَّةُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُحْتَرَمُونَ!

كُلُّ خَيْرٍ هُوَ فَيِّمٌ وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا. رَبُّ خَيْرٍ مَفْعُولٍ بِيَدٍ أَوْ بِلِسَانٍ أَوْ بِمَالٍ أَوْ بِعِلْمٍ أَوْ بِخَبْرَةٍ وَلَوْ كَانَتْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يُكَبِّرُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِثْلَ جَبَلِ الْأُحُدِ وَيُبَارِكُ عَلَيْهِ طَالَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُنَاصِرُ الْخَيْرَ وَيُقْضِلُ الْبِرَّ وَيَقِفُ صِدًّا الشَّرِّ وَالْحَرْبِ وَالْفَقْرِ وَالْعُنْفِ وَيُحَاوِلُ أَنْ يَحْكُمَ الْخَيْرَ عَلَى الْأَرْضِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ}⁴

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

دَعْوَانَا نَتَّبِعُ خُطَوَاتِ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ وَالصَّمِيرِ وَالْعَدَالَةِ وَالرَّحْمَةِ. وَنَقِفُ صِدًّا الشَّرِّ وَالْفُسَادِ وَالظُّلْمِ وَالْفِتْنَةِ وَالْعُنْفِ. لِأَنَّ الْبِرَّ سَيُغَيِّرُ الْعَالَمَ وَسَيُنْقِذُ مُسْتَقْبَلَنَا. وَلَا نَنْسَى إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ عَلَى مَنْ سَعَوْا لِكَثْرَةِ الْخَيْرِ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ يَتْرَكَهُمْ بِمُفْرَدِهِمْ دُونَ قَادِرٍ وَنَاصِرٍ.

1 رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ، بَابُ النَّبُوعِ، 2

2 سُورَةُ الْبَقَرَةِ، 177/2

3 سُورَةُ فَصَّلَتْ، 34/41

4 رَوَاهُ مُسْلِمٌ، بَابُ الْإِيمَانِ، 78